المصدر: الاهـــــــرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات التاريخ : ١٩٧٥/٥/٢٧

« على أبواب اعادة بناء التنظيم السياسى والقضايا التى تثور حوله ، نلقى « الاهرام » عددا كبيرا من رسائل قرائه اختار منها هذه المجموعة »

المعارضة المتحركة والثابتة وماذا تحققان فى التنظيم ؟

مرة اخرى يعاد تنظيم الاتحاد الاشتراكى ، وتعود التساؤلات القديمة حوله. ومن بين الافكار الجديدة فى هذه المحاولة فكرة المعارضة المتحركة وهى لابد تختلف عن المعارضة المستمرة الثابتة. والمعارضة فى اللغة السياسية لها بصفة عامة معنيان : الاول عام يعبر عن فعل الاعتراض نفسه على رأى معين . أما الثانى فاصطلاح يدل فى النظام البرلمانى على مجموعة منظمة من النواب يشكلون اقلية تعارض سياسة الحكومة التى تساندها مجموعة أخرى تشكل اغلبية .

وعلى هذا فالمعارضة المتحركة تهدف المعنى الاول [الاعتراض على رأى معين] أما المعارضة الثابتة المستمرة فتهدف المعنيين الاول والثانى [الاعتراض + انضمام فى مجموعة منظمة]

ومن هذه التفرقة تفضل بعض الاراء الصورة الاولى للمعارضة كمعارضة متحركة على اساس انها تكفل للمعارضة صفة الموضوعية . فالنائب الواحد قد يؤيد أو يعارض الحكومة رفقا لكل مسالة على حدة من منطلق موضوعية النائب وحرصه على المصلحة العامة وبراءته من شبهة المعارضة من اجل المعارضة .

وكذلك فان المعارضة الثابتة تؤدى الى المعارضة فى كل موضوع ودائما من نفس النواب مما يبعدها عن الموضوعية

الا انه ان صح ان المعارضة المتحركة توفر للنواب المرونة اللازمة للتردد بين

التأييد والمعارضة فان ذلك لا يمثل ضمانة للموضوعية بل قد يخضع مواقف النواب تجاه الموضوعات المعروضة لامزجة لا ضابط لها ، وقد تحددها عوامل شخصية من مجاملات اومصالح.

ومن ناحية اخرى فليس صحيحا أن المعارضة المستمرة تهاجم الحكومةدائما

بل هناك امثلة فى الدول التى تأخذ بالنظام البرلمانى وقفت فيها المعارضة الى جانب الحكومة سواء فى ظروف عصيبة كما كانت الحال فى انجلترا فى فترة الحربين أو فى ظروف عادية كما حدث فى فرنسا منذ بضعة شهور عندما تمكنت الحكومة من تمرير قانون تنظيم النسل لان المعارضة صوتت مع القانون بينما وقف عدد كبير من نواب الاغلبية ضده .

وكل هذا الجدل يمكن الاستغناء عنه اذا سلمنا بان المعارضة ليست غايةفى ذاتها وانما هى اسلوب لمراقبةالحكومة ولتوفير البدائل لسياسة الحكومة حتى يتمكن الشعب من ممارسة حقه فى الاختيار بين حكام مختلفين وسياسات مختلفة اذ بغير امكانية الخيار لا تكون هناك ديمقراطية مطلقا .

فان تمكنت المعارضة من تحقيق وظيفتها تكون قد أدت الغاية منها والا فلا يكون لوجودها معنى اللهم الا اذا كان على سبيل رفع الالغات .

ووفقا لهذا المعيار يمكننا ان نقول أن كلا من المعارضة المتحركة والثابتة يمكن منطقيا ان تحقق الرقابة على اعمال الحكومة مع ملاحظة انه فى الحالة

الاولى بثوب هذه الرقابة ، كما بينا خضوعها للمزاج او المصالح والمجاملات

اما فيما يتعلق بتوفير البدائل السياسية فاننا نجد ان المعارضة المتحركة لاتستطيع أن تحقق هذا الفرض ما دامت معارضة مشتتة خلقتها الصدفة لا يجمع بينها جامع من فكر أو نظام ، فلا تستطيع أن تقدم برنامجا متكاملا يصلح بديلا لبرنامج الحكومة فان فعلت أصبح من الطبيعى ان تتمسك به وتدافع عنه وعندئذ ستجد نفسها انقلبت الى معارضة ثابتة بحكم طبيعة الامور .

نخلص مما سبق الى ان توفير البدائل السياسية يتطلب حتما وجود معارضة ثابتة ولكن .. يبقى تساؤل آخر ينتقل بنا من المجال النظرى الى الواقع المصرى . هل المعارضة الثابتة تؤدى الغرض منها بمجرد وجودها . هنا

نعود الى تجربتنا الحزبية فيما بين الثورتين لنجد أن المعارضة بهذا المعنى لم تؤد رغم وجودها الى توفير البدائل السياسية وان كانت قد نجحت فى تأدية وظيفة الرقابة ، وربما كان السبب الاساسى فى عدم نجاحها فى تأدية وظيفتها كاملة الى جانب ان احزاب هذه الفترة لم تكن لها نظرية ولا فكر ولا برنامج يميزها ربما كان السبب الاساسى انه لم يكن لهامن السلطة اذا ما وصلت الى الحكم سوى الفتات الذى تبقى من القصر والسفارة البريطانية . وعلى ذلك كانت معارضة قاصرة قريبة فى قصورها من المعارضة المتحركة المقترحة اليوم تلك التى تعجز عن توفير البدائل السياسية . وهى ركن من أركان الديمقراطية لا تقوم الا به .

واذا كانت المعارضة المستمرة الثابتة هى وحدها القادرة على توفير هـذه البدائل فهل يجوز القول بانها تتعارض مع فكرة تحالف قوى الشعب العاملة ؟ انني ارى من الناحية المنطقية انه ليس هناك ما يتعارض بين وجود هـذه المعارضة الثابتة وبين فكرة تحالف قوى الشعب العاملة .

الا ان التعارض يظهر على مستوى آخر اذ أن المعارضة الثابتة تشكل بطبيعة الامور نواة لحزب سياسى وهنا يقع التعارض مع نص قانونى قائم يحرم قيام الاحزاب ويكفل للاتحاد الاشتراكى « احتكار النشاط السياسى » .

ولنا أن نتساءل : هل خدم هـذا الاحتكار مصر ؟

هل خطا بها خطوات على طريق الحرية أو قطع بها شوطا نحو الكفاية والعدل ؟

ألم يؤد هذا الاحتكار الى نشوء مراكز القوى التى قادت مراكب الهزيمة ؟

ألم يجذب أسراب المنتفعين الى ساحة العمل السياسى حتى اصبحوا هم سمة هذا العمل ؟ ألم يؤد هـذا الاحتكار الى هروب الصراع السياسى من دائرة النور الى دائرة الظل . وألم يجعل من الاتحاد الاشتراكى جثة هامدة ؟

محمود احمد اباظة المحامى